

النشاط الألماني في الخليج العربي ١٩١٤ - ١٩٠٠

الدكتور رياض جاسم محمد الأسدي

مركز دراسات الخليج العربي

جامعة البصرة - البصرة - العراق

النشاط الألماني في الخليج العربي ١٩١٤-١٩٠٠

تمهيد:

شهدت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) تنامياً مضطرباً وعموم القوى الاستعمارية الأوروبية، على نحو لم يسبق له مثيل. وظهرت ألمانية بعد تحقيق وحدتها القومية عام ١٨٧١ دولة قوية وحديثة وذات مطامح بعيدة، وبخاصة بعد بروز شخصية بسمارك (١٨٩٨-١٨١٥)^(١).

وأراد ملكها غليوم الثاني سلوك سياسة تتصف بالعالمية welt politic، لما امتازت به ألمانية من قوة وحيوية ونمو سريع في مختلف ميادين الاقتصاد والجيش وإدارة الدولة. وقد تمثل ذلك على نحو واضح في خطة ألمانية في إنشاء أسطول بحري كبير يقف بوجه الأسطول البريطاني، الذي أحكم سيطرته على جهات عديدة من بحار العالم، خطط له ونفذه الأميرال فون تريبيتز Von Tirpitz^(٢).

كان لدى ألمانية في هذه الحقبة إمكانات اقتصادية وصناعية هائلة، إذا ما قورنت بأي بلد أوروبي آخر. تضم حوالي (١٢,٠٠٠) مؤسسة مختلفة تعمل في مجالات شتى^(٣). ولذا نجد أن توجه هذا البلد استعمارياً كان نتيجة طبيعية لعموم النشاطات الحثيثة التي اضطلع بها.

وضح الاستعماريون الألمان خطة خاصة لإيجاد مناطق نفوذ لألمانية خارج حدودها، وبخاصة في الشرق، دعت آنذاك بخطة زمрман Zimmerman plan، وهي عبارة عن سلسلة من الأفكار العملية التي اعتمدت على أن انهيار السيطرة البريطانية في الشرق، لا يتحقق إلا من خلال الدعاية المنظمة ضدها، وبخاصة وسط الشعوب

الإسلامية في إيران والهند. ولذلك كان لابد للخطة من أن تعتمد على مساعدة العثمانيين لتحقيق أهدافها.

كان النشاط الألماني الاستعماري في الشرق نتيجة لمجمل الأفكار والطروحات التي قام بها سلسلة من المفكرين الألمان في مختلف مجالات المعرفة^(٤). وظهرت الغاية منه، وهي منافسة الدول الأوروبية الاستعمارية في السيطرة على منابع الثروة والطاقة التي بدأت بواورها تظهر إلى الوجود.

واجهت ألمانية كلاً من بريطانية وروسية وفرنسية في تثبيت نفوذها في الشرق. وإذا كانت فرنسا قد حُدّد نشاطها من قبل بريطانية،^(٥) فإن روسية بقيت تشكل خطراً ملموساً، على الرغم من انكفائها في شمال إيران، لأنها بقيت تبحث لها عن موطئ قدم في الخليج العربي، من خلال دعوتها إلى مشروع كابنست Kapnist project، الرامي إلى مد خط سكة حديد من آسيا الوسطى إلى الخليج العربي، والذي كان ذا تأثير على بريطانية^(٦).

إن دراسة تلك العلاقات الدولية في مطلع القرن العشرين تفسر لنا الكثير مما ترتب على حياة الأمة العربية وعلاقتها بالعالم الغربي.

محاولات ألمانية لإقامة مستعمرات في شرق أفريقية

بدأت محاولات الألمان في شرق أفريقية في ضوء سياستهم المعلنة بالاندفاع نحو الشرق Drive to the East, Drang Natch Osten. وفي عام ١٨٧٨، أنشئت الجمعية الألمانية للدراسات الأفريقية في برلين، وبدأت جماعات الألمان بالتوافد على شرق أفريقية بصفة مستكشفين للعمل في زنجبار وتنجانيقا، كان كارل بيترز Carl Peters من أكثر العاملين نشاطاً لتأسيس نفوذ ألمانية في تلك المنطقة^(٧). وفي غضون عام واحد، استطاع الألمان تكوين أربع مستعمرات في أفريقية في الفترة بين نيسان ١٨٨٥

وهي: تنجنيقة في شرق القارة، والكاميرون وتوغو في الغرب، وناميبية في الجنوب^(٨).

سيطر الألمان على ما يقارب من (٦٠,٠٠٠) ميل مربع من الأراضي التي يحكمها السلطان برغش،^(٩) الذي أقر لهم، بتهديد من السفن الحربية الألمانية الراسية قبالة مدينة زنجبار، بوضعهم الجديد في المنطقة وكونهم قوة استعمارية معترف بها.

وفي عام ١٨٨٦، التقى الوكلاء الألمان مع الوكلاء البريطانيين حيث قاموا بتقسيم المنطقة إلى مناطق نفوذ بين الدولتين، دون الرجوع إلى السلطان برغش. فأصبحت حصّة ألمانية محصورة في مقاطعة واسعة من نهر أمبة Uмба إلى نهر روفمة Rovuma في شرق أفريقية، في حين حصل البريطانيون على مساحة محصورة بين نهر أمبة إلى نهر تونة Tuna^(١٠).

بعث الألمان إلى شرق أفريقية قنصلاً هو الهرشالتر Herr Schaltz الذي عني بإنشاء مخازن للسفن على طول ساحل تنجانيقة، وأعلن سياسة الباب المفتوح^(١١). إن اتخاذ الأنهار حدوداً لعموم المقاطعات الاستعمارية يعد أسلوباً شمل النصف الجنوبي من القارة السوداء. وقد ظهر ذلك جلياً في مؤتمر برلين ١٨٨٤-١٨٨٥^(١٢)، الذي وضع الأسس الاستعمارية لتقسيم أفريقية بين ١٤ دولة أوروبية، امتداداً لنزعة التوسع والتهب الاستعماريين، التي طغت على العلاقات الدولية آنذاك بشكل لم يسبق له مثيل.

وبعد التقسيم الاستعماري عملت الشركات الأوروبية بمختلف جنسياتها لاستثمار القارة. وتميّزت الشركات الألمانية والبريطانية في التوغل عميقاً في شؤون أفريقية الداخلية. فتأسست شركة شرق أفريقية الألمانية The German East Africa Co. وشركة شرق أفريقية البريطانية The British East Africa Co.^(١٣). عملت هاتان الشركتان على تأكيد الوجود الاستعماري في تنجنيقة التي كانت تعود السلطة فيها فعلياً إلى سلطان عمان وزنجبار منذ عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤-١٨٥٦م)، حيث وصل نفوذ

الأخير إلى مسافة ٤٠-٥٠ ميل داخل تنجانيقة، كما يسير القوافل التجارية في شرق أفريقية حتى بحيرة فكتورية. لكن تلك السيطرة اضمحلت زمن السلطان برغش بن سعيد، حيث أصبح النفوذ الألماني قائماً؛ في حين اقتصر نفوذ بريطانية فعلياً على زنجبار وحدها^(١٤).

يُعدّ عام ١٨٨٤ حاسماً بالنسبة للوجود الألماني في شرق أفريقية، حيث تطوّرت المستعمرات الكبيرة. وكان من الممكن رؤية جماعات الألمان الاستعمارية وهي تعمل على تركيز نفوذها داخل القارة^(١٥). وقد تميّز كارل بيلتز من بين هذه المجموعات بنشاطه، فاستطاع بالحيل والهدايا، أن يحمل رؤساء القبائل في داخل أفريقية على توقيع أوراق لا يعرفون فحواها، كانت في الواقع عبارة عن معاهدات مع ألمانية، التي لم تدخر وسعاً في إخطار الدول الأوربية الأخرى بها^(١٦).

إن الوجود الاستعماري الألماني في شرق أفريقية هو نقطة البداية للتحوّل إلى منطقة الخليج العربي الحيوية، ومن ثم الدخول مع بريطانيا في تنافس جديد، وصولاً إلى تحقيق الهدف النهائي، وهو الهند. ولذا فإن الاندفاع نحو الخليج العربي جاء نتيجة طبيعية لمجمل التوجهات الألمانية في الاندفاع نحو الشرق، وبالتالي يعد محاولة أخرى لضرب طرق المواصلات البريطانية المهمة.

الاندفاع الألماني نحو الخليج العربي:

وقع الخليج العربي ضمن استراتيجية ألمانية العامة في الاندفاع نحو الشرق، لكونه يشكل منطقة حيوية لمواصلات الملاحة البريطانية، فضلاً عن كونه نقطة التقاء حساسة للمصالح التجارية. وبعد ترسيخ النفوذ الألماني في شرق أفريقية - كما مر معنا - فتحت صفحة في الخليج العربي على مصراعيها.

قامت ألمانية عام ١٨٩٦م بتأسيس شركة ونكهاهوس Wonckhaus (نسبة إلى مؤسسها روبرت ونكهاهوس) في ميناء لجنة على ساحل الخليج العربي للعمل في تجارة اللؤلؤ والسلاح التي كانت رائجة وقتذاك. وفي الواقع أن خطط وطموحات تلك الشركات كانت أكبر بكثير من إمكاناتها المتواضعة. وعلى الرغم من ذلك، فإن رجال الحكومة في برلين أعلنوا رسمياً: أن الهدف من نشاط ألمانية في الخليج العربي هو: (الوصول من هامبورغ Hamburg إلى الخليج العربي من خلال إيجاد موضع قدم Foot Hold هناك)^(١٧).

الهدف الأولي لذلك النشاط يكمن في زعزعة الوجود البريطاني تمهيداً للوثوب إلى هدف أوسع وهو الوصول إلى الهند قلعة بريطانية التقليدية. وكانت رغبتها في البداية منافسة شركات المواصلات البريطانية من خلال إيجاد مصالح تجارية هناك.

ولرعاية المصالح التجارية الوليدة في الخليج العربي، قامت بافتتاح أول قنصلية لها عام ١٨٩٧م في ميناء بوشهر، وعينت نائب قنصل لها هو الطبيب روبرت هوك Dr. Robert Hauck، الذي بدأ عمله الرسمي في تشرين الثاني من العام نفسه. وقد بقي في وظيفته حتى حزيران ١٨٩٩م^(١٨).

وسّعت ألمانية نشاطها من خلال الدعم المالي الحكومي الذي حظيت به شركة ونكهاهوس. فقامت هذه الشركة تبعاً لذلك بتأسيس فروع لها في البحرين وبندر عباس والبصرة، كما أظهرت جهوداً حثيثة لتنويع تجارتها، فأجرت اتصالاً مع شيخ الشارقة وعرضت عليه مشروعاً لاستثمار الأكسيد الأحمر Red Oxide في جزيرة أبو موسى، تمهيداً للاندفاع في عمق الخليج العربي شمالاً حتى مصب شط العرب ونهر الكارون، حيث تقع عقدة مواصلات الملاحة البريطانية^(١٩).

دأبت جماعات من الألمان منذ نهاية القرن التاسع على القيام بزيارات شبه منتظمة لموانئ الخليج العربي المهمة، سواء لجمع المعلومات أو لرسم الخرائط الخاصة. وقد

اتخذوا صفة التجار المسلمين حتى عرفوا آنذاك باسم تويبين Toeppen، وقد كان مقرهم شبه الدائم بندر عباس^(٢٠). وفي بداية القرن العشرين، وبعد عام ١٩٠٥، أصبح تحقيق التفاصيل العملية للإستراتيجية الألمانية في الخليج العربي عن طريق البحرين. وكان القادة الألمان يؤثرون هذا الوضع في الحقبة بالذات، بسبب التهديد الروسي لإيران^(٢١).

ناهيك عما انتاب السياسة البريطانية في هذه الحقبة من تراخي قبضتها على منطقة الخليج العربي، وما رافق ذلك من سلسلة المشكلات المالية التي عصفت بالاميرالية البريطانية وألقت بظلالها على عموم النشاط البريطاني^(٢٢).

في عام ١٩٠٦، ظهرت شركة هامبورغ أميركة للمواصلات البحرية Hamburg- America Line Co. للعمل في الخليج العربي وإيران^(٢٣). وعرفت اختصاراً بـ (HAPAG). وفي الواقع، أنها كانت امتداداً لشركة ونكهاس، فقد كان روبرت ونكهاس وكيلها الرسمي. وعلى الرغم من أن أعمال هذه الشركة كانت بطيئة إذا ما قورنت بالشركات البريطانية، إلا أنها حظيت بدعم كبير من الحكومة في برلين من خلال تمويلها المالي، الذي كان يقوم به بنك الشوق The Deutsche Orient Bank. في وقت قام بنك الامبريال البريطاني في فارس British Imperial Bank of Persia بتمويل الشركات البريطانية العاملة في الخليج العربي^(٢٤). ومن الملاحظ أن هذه البنوك هي نفسها التي ساهمت في استعمار شرق أفريقية، ولذا فإن التنافس الألماني - البريطاني في أحد وجوهه هو تنافس مالي بين بنوك لندن وبرلين.

^(٢٠) تعود علاقة إيران بألمانية إلى زمن ناصر الدين شاه الذي زار برلين عام ١٨٧٣، وبدأت محاولات الألمان في إيران منذ ١٨٨٤، حينما احتكر التجار الألمان "القند" في إيران. وفي عام ١٨٩٥، دخلت أول سفينة ألمانية إلى ميناء بوشهر محملة بمختلف البضائع، للتفاصيل أنظر: اثر: ر. وادالا، خليج فارس در عصر استعمار ترجمة ي بروفيسور شفيق جوادى (طهران، ١٩٧٨) ص ٥٥-٦٢.

زار روبرت ونكهالوس الكويت هذه المرة عارضاً مشاريعه على شيخ الكويت مبارك الصباح وبرفقته عدد من رجال الأعمال الألمان.

رغب ونكهالوس شيخ الكويت في استثمار أكسيد الحديد Iron oxide . وأشار إلى قيامه بإنشاء شركة لهذا الغرض وهي F.c. Strick and Co. لكن الأخير كان قد ارتبط مع بريطانية بمعاهدة سرية عام ١٨٩٩م^(٢٤).

عقدت بريطانية سلسلة من المعاهدات مع شيوخ ساحل عمان وسلطان مسقط وأخيراً شيخ الكويت، فقطعت الطريق على الألمان في إيجاد موطئ أقدام لهم في الخليج العربي.

بادر (برسي كوكس) المقيم البريطاني في الخليج (١٩٠٤-١٩١٣) للاتصال بشيوخ ساحل عمان والكويت، وأخبرهم بضرورة عدم منح الألمان أي امتياز وذكرهم بارتباطاتهم السابقة مع بريطانية^(٢٥). ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أرسلت الإدارة البريطانية في الخليج العربي في ٢٢ تشرين الأول من عام ١٩٠٧ المعتمد البريطاني في بندر عباس مع الملازم جابريل إلى جزيرة أبو موسى على ظهر السفينة الحربية لابونك، لإحباط المشاريع الألمانية هناك^(٢٦).

لقد أدركت بريطانية منذ ذلك الوقت أهمية الشرق الأوسط والخليج العربي وبخاصة في حالة وجود قوى أوربية منافسة مثل ألمانية. لذا كان لابد للإستراتيجية البريطانية من أن تضع أسساً وفق إدراك جديد^(٢٧) لمواجهة التحديات الألمانية المتعاقبة، وبخاصة حينما أصبحت الدولة العثمانية طرفاً في عملية الصراع الدبلوماسي الذي ظهرت بوادر احتدامه في مختلف المجالات.

كان أول اصطدام دبلوماسي علني بين بريطانية والدولة العثمانية - ومن خلفها ألمانية - بعد رفض شيخ الكويت مبارك الصباح في كانون الثاني عام ١٩٠٠م البعثة الألمانية التي رأسها الهر "ستمرخ" القنصل الألماني في الأستانة^(٢٨). وبعد أن رفض شيخ الكويت بأن تكون نهاية خط سكة حديد بغداد برلين في الكويت^(٢٩).

في ظل هذه السياسة قامت بريطانية بمنع السفينة الحربية الألمانية بيرسوس Perseus من إنزال جنود عثمانيين في البصرة والكويت^(٣٠). وكتبت جريدة التيمس Times اللندنية مقالاً خاصاً أكدت فيه نوايا ألمانية في إزاحة بريطانية عن سيطرتها على الخليج العربي، ونوّهت إلى خطر مثل هذا الأمر على عموم السياسة البريطانية في الشرق. ودعت إلى أن تفتح بريطانية عيونها جيداً في مسألة مد خط سكة حديد إلى الكويت، لأن ألمانية لن تتردد في استخدام السلاح إذا ما أحييت دون تحقيق هذا الهدف^(٣١). لقد بلورت الصحافة آنذاك الرأي العام حول مجمل القضايا التي تهمّ الدول الأوروبية، ولعبت دوراً مهماً في تضخيم الأحداث آنذاك.

كانت محاولات ألمانية في أن يكون لها نفوذ ما في رأس الخليج العربي مستمرة رغم كل العراقيل التي وضعتها بريطانية في وجهها. ورأت أن نشاطها البحري في المواصلات والملاحة لن يكون مجدياً ما لم يرتبط بالخط البري المقترح "سكة حديد بغداد برلين - الكويت". ولذلك عمدت بريطانية إلى أن تكون حصتها في إنجاز المشروع مرتبطة بنهايته في الخليج العربي، لكي تقطع الطريق على مجمل الإستراتيجية الألمانية المتعلقة بالخليج العربي، من خلال السيطرة على الجانب الأهم من المشروع، وبأمر مفروغ منه ولا يمكن التنازل عنه^(٣٢).

إن أهمية المشروعات الألمانية تكمن في السيطرة على حركة النقل في الخليج العربي تمهيداً للاستيلاء على عموم النشاط التجاري. وقد لوحظ بأن الألمان يولون هذا الأمر أهمية قصوى لكي يمكنهم هذا الوضع من السيطرة على التجارة القادمة من بلاد فارس، ولتوضع طرق الهند - بعد ذلك - تحت يد الألمان القادمين إلى الشرق. وحينما سعت بريطانية لأخذ المبادرة في تنفيذ مشروع سكة حديد الخليج العربي؛ فإنها بذلك حمت تجارتها في فارس والهند. وظهر هذا الوضع في مجمل المراسلات التي كان يقوم بها وكلاء بريطانية في الخليج العربي لتتبيه حكومتهم^(٣٣). أما ألمانية، فقد قبلت

بهذا الوضع على مضض، وبخاصة إدارتها في الخليج العربي. بيد أنها كانت تضع الخطط لتغيير وضعها بشكل متواصل.

تبيّن هذا الوضع بقيام بنك الدوتش Deutsch Bank بتمويل مشروع سكة حديد الأناضول (وهو ذات البنك الذي مول عمليات استثمار شرق أفريقية، وكذلك قيام شركات ألمانية في الخليج العربي)، من خلال إنشاء شركة سكة حديد الأناضول العثمانية. Ottoman Anatolian Railroad Co^(٣٤). لكن الجهود لم تثمر عن النتائج المرجوة، فقد فشلت ألمانية في أن تكون الكويت نهاية خطها الحديدي المزمع إقامته.

نسقت ألمانية مع الدولة العثمانية أعمالها لتكون خور الزبير نهاية لخط سكة الحديد بدلاً عن الكويت، ولهذا فقد ساعدت العثمانيين على بناء دائرة للبريد في خور عبد الله عام ١٩٠٢. زار قائد السفينة البريطانية سفيتكس Sphinx المنطقة وقدم تقريراً حول مشاهدته للنشاط العثماني - الألماني فيها. وذكر أن الأتراك قاموا ببناء قلعة في أم قصر، ووضعوا فيها حوالي عشرين رجلاً من الحرس كقوة للمراقبة، تمهيداً لتوكيد وجودهم في جزيرة بوبيان، ذات الموقع الحيوي في رأس الخليج العربي. وقد تساعد - كما أورد قائد السفينة في تقريره - المهندسون الألمان الذين ظهروا في منطقتي خور الزبير وأم قصر^(٣٥).

وفي الواقع، أن ملاحظات المسؤولين البريطانيين ومراسلاتهم كانت مجرد رصد لحركة الألمان، لأن بريطانية قد أكدت هيمنتها على الدولة العثمانية، منذ التوقيع على معاهدة عام ١٩٠٣، التي تضمنت بنوداً تسمح لبريطانية في بناء نهاية خط سكة الحديد، فضلاً عن اضطلاعها بنقل البضائع في البحر وإشرافها على نقاط المراقبة البحرية^(٣٦).

إن ذلك الوضع جعل بعض إداريي بريطانية في منطقة الخليج العربي يرون: "أن موطن القدم الألماني Foot Hold مجرد مزحة" إذا ما قورن بالوجود والهيمنة

البريطانيتين. فكتب القنصل البريطاني وارنسلو Wartislow في البصرة للفترة ١٨٩٨-١٩٠٣: "إن هيمنة بريطانية على التجارة - في الخليج العربي - لها حصة الأسد وأن شركاتها مؤسسة بشكل راسخ"^(٣٧).

وتمثل هذا الرسوخ الشكلي في سلسلة الأعمال التي قامت ضد النشاط الألماني في البصرة والفاو على وجه الخصوص. فقد دأبت سفن الدورية البريطانية في شط العرب على إخضاع السفن الداخلة إلى النهر إلى الحجر الصحي والتفتيش بحجة حماية النهر من أعمال "القرصنة". لكنها في الواقع كانت تراقب نشاط الألمان في النهر وحوض الكارون. لاسيما بعد قيام المهندسين بإزالة الحاجز الغريني قرب ميناء الفاو ليتسنى للبواخر الألمانية الكبيرة الحجم^(٣٨) الملاحة فيه.

وجدت كل من روسية وبريطانية في عام ١٩٠٧م ضرورة الحد من النفوذ الألماني في آسيا. ولذلك قررتا تسوية خلافتهما حول توزيع مناطق النفوذ وبخاصة في إيران وأفغانستان والتبت^(٣٩). إلا أن الألمان أظهروا اهتماماً واضحاً مما يسمى بالمسألة الفارسية Persian Question^(٣٩)، فأرسلت ألمانية إلى بلاد فارس القنصل الأمير الفون روس Ruess، الذي ارتبط في طهران بعلاقة خاصة مع الحزب الديمقراطي الإيراني الذي يُعد من أكثر الأحزاب الإيرانية مناوئة للنفوذ الروسي والبريطاني على حد سواء^(٤٠). لكن جهود الفون روس لا يمكن مقارنتها بمجمل الأعمال التي اضطلع بها فاسموس Wassmuss^(٤١).

اتصل فاسموس بالقبائل الفارسية المؤثرة على سير الأحداث السياسية في فارس وبخاصة قبائل القاشقاني والتكستني والبختيارية. وقد عمل على تركيز اتصالاته وتنسيق أعمالها بشكل واسع مع القبائل البختيارية ذات القوى المؤثرة في بلاد فارس وفي نجاحه في بلاط الشاه. كان الهدف الألماني في هذه الحقبة هو جعل إيران جسواً للوصول إلى أفغانستان، لإثارة الشعور العام ضد الإنكليز والروس في البلدان الإسلامية الراضة تحت السيطرة الاستعمارية البريطانية^(٤٢).

ارتابت بريطانية من نشاط فاسموس في منطقة الخليج العربي وإيران. وكان قد اتخذ له مترجماً يدعى سيد مرتضى. وفي عام ١٩١٣ وفي خضم النشاطات المتعلقة بمشروع سكة حديد بغداد، اتصل فاسموس ببييرسي كوكس المقيم البريطاني عارضاً رغبته في التباحث، بشأن وصول السكة الحديدية إلى البحر. لكن كوكس ارتاب من نواياه ضد بريطانية وأخبره أن الإدارة البريطانية في المنطقة لا ترغب في تدخل فاسموس في شؤون الخليج، مع ذلك فالدعاية الألمانية ضد بريطانية ازدادت بأمر من فاسموس^(٤٣)، ووصل بها إلى الذروة من خلال تحريض القبائل في حوض الكارون ضد الإنكليز، وبخاصة قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى. ولم يلبث أن نقل نشاطه - كما هي الخطة الألمانية في تطويق الوجود البريطاني في الهند - إلى أفغانستان، وخطط إلى بعثة ألمانية لهذا الخصوص^(٤٤).

تكوّنت البعثة من الملازم بندر ماير رئيساً لها والهر "فون هنتيخ Hentig" سكرتير قسم المفاوضات في وزارة الخارجية الألمانية، فضلاً عن عدد من المسؤولين العثمانيين وبعض قادة الحركة الوطنية في الهند المقيمين في برلين من أمثال كورما هندرا براتاب وبركة الله. لكن البعثة فشلت عن تحقيق أهدافها، على الرغم من مقابلتها للأمير حبيب الله حاكم أفغانستان ولم تستطع زج أفغانستان ضد بريطانية^(٤٥).

إن اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ وضعت النشاط الألماني في منطقة الخليج العربي وإيران أمام مهام جديدة، تمثلت في سلسلة النشاطات التي قام بها فاسموس ضد الوجود البريطاني^(٤٦). وهكذا انطوت صفحة من النشاط الألماني في الخليج العربي والشرق بشكل عام. لكن منطقة الخليج بقيت في أذهان القادة الألمان الجدد الذين جاءوا إلى السلطة بعد استيلاء أدولف هتلر على السلطة عام ١٩٣٣ وقيام الرايخ الثالث الألماني بوضع خطط واستراتيجية أخرى تجاه الشرق والخليج العربي.

خاتمة:

وقع الخليج العربي ضمن خط ألمانية في الاندفاع نحو الشرق، وكانت منطقة شرق أفريقية المحطة الأولى في حركة الألمان باتجاه الهند، مركز الاستعمار البريطاني الأساسي، استخدمت ألمانية أسلوبين في الوصول إلى الهند: بري تمثل في مشروع إنشاء خطة سكة حديد بغداد برلين حيث ينتهي الخط في الكويت، وبحري من خلال إقامة شركات نقل تجارية في أكثر مناطق الخليج العربي أهمية، تكون استكمالاً لخط المواصلات البري؛ وبذلك تكون ألمانية قد طوقت الوجود البريطاني في منطقة الشرق الأوسط عموماً.

وإذا كانت ألمانية قد فشلت في تحقيق هدفها النهائي "الوصول إلى الهند" وإثارة الشعوب الإسلامية ضد السيطرة البريطانية، إلا أنها في الواقع شكلت تحدياً حقيقياً لتلك السيطرة التي استمرت مئات السنين، وأعطت لمنطقة الخليج العربي - مفتاح الطريق إلى الهند - أهمية جديدة بعد المحاولة النابليونية إبان غزو مصر عام ١٧٩٨-١٨٠١.

استطاعت ألمانية النفاذ إلى الشرق ومنطقة الخليج العربي عبر العديد من الثغرات التي حرصت الإدارة البريطانية على سدّها، وهذه الحقيقة تؤكد على أن قوى الاستعمار البريطاني لم تكن على هذا الجانب من القوة والسيطرة اللتين حرص الكتاب الإنكليز ومن دار في فلكنهم على ترسيخها في الأذهان، فالاندفاع الألماني السريع والقدرة على إيجاد المراكز للانطلاق، يعدّ دليلاً على هشاشة الوجود البريطاني في الشرق آنذاك.

المصادر

وثائق غير منشورة:

I.O. R: India Office Records and Library

L/R+S/10/57.

L/P and S/18/B/66a.

وثائق منشورة:

-Anderson, M.S, *The great Powers and the Near East 1914-1923*, Documents of Modern history, first pub; (London, 1970).

Arabian Boundaries- primary Documents 1853-1957 (Archive Edition, 1980) m vol.I.

الكتب العربية والمصرية:

- إبراهيم، د. عبد الله عبد الرزاق، *المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقية* (الكويت، ١٩٨٩).

- الدسوقي، د. محمد كمال، *تاريخ ألمانية (القاهرة بلا تاريخ)*.

- النجار، د. مصطفى وآخرون، *تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر* (جامعة البصرة، ١٩٨٤).

- رفلة، د. فيليب، *الجغرافية السياسية الأفريقية* (القاهرة، ١٩٦٦).

- شويل، د. فوزي خلف، *إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى* (جامعة البصرة، ١٩٨٥).

- لنشوفسكي، جورج، *الشرق الأوسط في الشؤون العالمية* ترجمة: جعفر خياط (بغداد، بلا تاريخ).

- رَنُوفَن، بيير، تاريخ القرن العشرين، تعريب: د. نور الدين حاطوم (لبنان، ١٩٦٩).

الكتب الأجنبية:

- AL-Maamiry, Ahmed Hamoud, **Oman and East, Africa**, First Ed., (New Delhi, 1979)
- **Annalen des deutschen Reichs** (1911, Zan).
- Buch, Briton Cooper, **Britain and the Gulf** (University of California Press 1967)
- Coupland, Sir Reginald, **The Exploitation of east Africa 1856-1890.**
- **The Slave trade and the scramble** (London, 1968).
- Grave, Philip. **The life of Sir Percy Cox**, Sec. Imp., (London, 1991).
- Hurewitz, **The middle East and North Africa in world Politics**, A document Records (London, 1975).
- Izzard, Molly, **The Gulf, Arabian western Approches** (London, 1979).
- Kumar, Ravinder, **India and the Gulf region 1858-1907** (India, 1965).
- Lorimer, J.C., **Gazatter of the Gulf and Cental Arabia** (Calcutta, 1915) Vol. I. Part II.
- Leslie, Shane, **Mark Sykes: His life and letters** (London, 1923).
- Marlow, John, **The Gulf in 20" Century** (London, 1962).
- Middleton, John and Jans Campell, **Zinzibar It's society and It's Politics** (London- New York, 1965).
- Riesser, Dr **"Die deutschen Gross banken and ihre knozentration in zusammenanye der Gesamt wirt Schult in Deutschland** (4AFII, 1912).

- Reuch, Richard, **History of East, east Africa** (New York, 1916)
- Sykes, Brigader- General Sir Percy, **A history of Persia** (London, 1969) Vol. II.
- Sykes Christopher, Wassmuss- **The German Lawrence First Pub.** (London, 1936).

المجلات والدوريات:

- القسطيني، خالد، **الجنور الأيديولوجية للعنصرية الصهيونية، الصهيونية والعنصرية - أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية - المجلد الأول (بغداد، ١٩٧٦).**

- الأسدي، رياض جاسم، **التنافس البريطاني الفرنسي للسيطرة على عمان ١٨٨٨-١٩٠٤، مجلة الخليج العربي.**

- المعاصر، د. يقظان سعدون، **الصراع الدولي وأثره في توقيع معاهدة ١٨٩٩، مجلة الخليج العربي. السنة العشرون العدد (٢-٤) ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.**

- Haley, Charles D., **The Desperate Ottoman: Enver pasa and the German Empire, Middle Eastern Studies vol. 30, Number I, Junury 1994.**

رسائل جامعية غير منشورة:

Al- amir Yakthan Sadoun, Great Britain and the Berlin Baghdad Railway 1899-1903, M. A Thesis(University of East Anglia, 1973).

المراجع والحواشي

١- أوتو إدوارد ليوبولد بسمارك Bismarck رجل دولة ودبلوماسي بروسي وألماني. عيّن مستشاراً للإمبراطورية الألمانية في ١٨٧١-١٨٩٠ للتفاصيل انظر: د. محمد كمال الدسوقي، تاريخ ألمانية (القاهرة بلا تاريخ) ص ٧٧-٩٧.

٢- بيير رنوفن، تاريخ القرن العشرين، تعريب: د. نور الدين حاطوم (لبنان، ١٩٦٩) ص ١٢.

٣- للإطلاع على نمو الاقتصاد، انظر:

Annalen des deutschen Reichs (1911, zan) s. 17.

٤- ظهرت النزعة الاستعمارية الألمانية في كتابات يوهان توميلب فيخته الذي أكد على ضرورة أن تبقى الأمم منفصلة بعضها عن البعض الآخر، وكذلك كتابات هنريخ فون تريتشكه الذي لعب دوراً حاسماً في بلورة الفكر التاريخي بعد ذلك. للتفاصيل راجع: خالد القشطيني، المذكرة الإيديولوجية للعنصرية الصهيونية، المجلد الأول (بغداد، ١٩٧٦) ص ١٥-٢٨.

٥- لتفاصيل الدور الفرنسي في الخليج: رياض جاسم الأسدي، التنافس البريطاني- الفرنسي للسيطرة على عمان ١٨٨٨-١٩٠٤م بحث مقبول للنشر في مجلة الخليج العربي.

6-Ravinder Kumar, India and the...Gulf region 1858-1907(India, 1965) p. 143

7-Sir Rginald Coupland, the Explotation of East Africa 1856-1890, the Slave trade and scramble (London, 1968) p.9

٨- د. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا (الكويت، ١٩٨٩) ص ١٨-٢٠.

٩- السلطان برغش بن سعيد (١٨٥٦-١٨٨٨) للتفاصيل:

AL-Maamiry, Ahmed Hamoud, **Oman and East Africa**, First Ed. (New Delhi, 1979) pp. 34-5

10- John Middleton and Jane Campbell, **Zinzibar, it's Society and it's politics** (London, 1965) p55

11- Coupland, **Op. Cit**, pp.192-193

١٢- يقضي مؤتمر برلين بأن تكون الأرض التي يضع المستكشفون يدهم عليها تابعة إلى دولة جنسية المستكشفين. وهكذا بدأ نوع من التسارع في إعلان الأراضي التابعة للدول الأوروبية. للتفاصيل انظر: د. فيليب رفلة، **الجغرافيا السياسية الأفريقية**، ط٢، (القاهرة، ١٩٦٦) ص ٢٤-٢٥.

13- J. Middleton, **Op. Cit.**, p.6

14- Richard Rensch, **History of East Africa** (New York, 1961) p.289.

15- Coupland, **Op. Cit**, pp.400-4

١٦- فيليب رفلة، **المصدر السابق**، ص ٢٥.

17- Britain cooper Buch, **Britain and the... Gulf 1894-1914**(University of California press, 1967) pp.349, 352

18- J.G. Lorimer, **Gazetter of the ...Gulf and Central Arabia** (Calcutta, 1915) vol . I. Part II, p2692.

19- Brigadier – General Sir Percy Sykes, **Ahistory of Persia**, Third Ed. (London, 1969) vol . II, p432.

20- Lorimer, **Op. Cit**, vol. I , part I, p. 346.

21- Buch, **Op. Cit**, p. 352

22- Sykes, **Op. Cit**, p . 433.

23- 21- Buch, **Op. Cit**, p. 355

٢٤- للتفاصيل عن اتفاقية ١٨٩٩ والظروف الدولية حولها ، انظر: د. يقطان سعدون العامر، **الصراع الدولي وأثره في توقيع اتفاقية ١٨٩٩**، مجلة الخليج العربي السنة العشرون - العدد (٢-٤) ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ١١-٣٤.

25- **Ibid**, p.p 357- 8

26- Ibid, p.p 369.

27- Shane Leslie, **Mark Sykes: His life and letters** (London, 1923) p. 237

٢٨- عن قضايا الصراع الدبلوماسي في أروقة الدولة العثمانية ودور ألمانية انظر:

Carles D. Haley, the Derate Ottoman: **Enver pasa and the German Empire**. Middle Eastern studies vol . 30, Number I , January 1991 , p. 32.

٢٩- لمزيد من التفصيل حول سكة حديد بغداد برلين، يراجع:

Al-amir Yakthan Sadoun, **Great Britain and the Berlin Baghdad Railway 1899-1903**. Unpublished. M. A. Thesis (University of East, Arglia, 1973).

٣٠- حميد أحمد حمدان التميمي، **البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-**

١٩٢١. دراسة تاريخية وثائقية للأوضاع السياسية والعسكرية والإدارية

والاقتصادية، رسالة ماجستير غير منشورة (البصرة ، ١٩٧٩) ص ٣٠-٣١.

31- L. O. R. lo p+s/10 o 57, Times 14 December 1909 .p. 112.

32- I. O. R. L/P+s 110/57, Sir F. Bertic to Sir Edward Grey, Received November 22 1909, p.176.

33- I. O. R, L/R+s 110/ 57 **Minutes by Sir C. Hardding and Sir E. Grey** (Foreign Office, November 19,1909) p. 178.

34- M. S. Anderson, **The gread Powers and the Near East 1774-1923**, Documents of modern history, first published (London, 1920) pp. 142-3 .

35- I. O. R. L/P and s o 18 o B o 66 a **form A. Godley to Brodrick a secretary Government of India** pp. 131-5.

36- J. C. Hurewitz, **The Middle east and north Africa in world politics**, A documentary Records (London, 1975) vol I, p.580.

37- Molly Izzard, **The Gulf, Arabia's western Approaches** (London, 1979) p.153 .

٣٨- د. مصطفى النجار وآخرون، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر** (جامعة

البصرة ، ١٩٨٤) ص ١٥٠.

٣٩- لمزيد من التفاصيل حول الموقف البريطاني من التطورات الدولية في إيران

والخليج العربي، وتحليل اللورد كرزن، انظر:

Richard Snofield and Gerald Blach, **Arabian Boundaries Primary Documents 1853-1957** (Archive Edition, 1980) vol. I. Curzon Analysis p. 59-63.

٤٠- جورج تشوفسكي، **الشرق الأوسط في الشؤون العالمية**، ترجمة: جعفر خياط (بغداد، بلا تاريخ) ص ٦٧.

٤١- ولد فاسموس الذي دعي بلورنس الألمان عام ١٨٨٠ في مقاطعة سيكسوني Saxony في ألمانية، وفي عام ١٩٠٦ رحل مع بعثة للخدمات الطبية إلى مدغشقر، ثم استدعي إلى برلين ليرسل بعد ذلك نائب قنصل في بوشهر للتفاصيل عن حياته وأعماله. انظر:

Christopher Sakes, Wassmuss, **The German Lawrence**, frist pub (London, 1936).

42- John Marlowe, **The persion Gulf in 20th Century** (London, 1962) p, 45;

لنشوفسكي، المصدر السابق، ص ٧٣.

43- Phillip Graves, **The life of Sir Percy Cox**, sec. Imp., (London, 1914) pp. 173-188.

٤٤- للتفاصيل انظر: فوزي خلف شويل. **إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى** (جامعة البصرة، ١٩٨٥) ص ٣٢٩.

٤٥- لنشوفسكي، المصدر السابق، ص ٧٧.

٤٦- استطاعت القوات البريطانية بقيادة مارك سايكس محاصرة دار القنصلية في بوشهر وقبضت على فاسموس كأسير حرب، ووصل ألمانية في خريف ١٩١٩ بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم أصبح بعد ذلك من أكبر وكلاء ألمانية في الشرق وعاد اتصاله بالقبائل في إيران. وفي عام ١٩٢٤ عاد إلى بوشهر مع زوجته ليخطط لأعمال جديدة. للتفاصيل:

M. Izzard, **Op. Cit.** , pp. 176-7.

